Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للمطولة لا يبتعد عن هدف محدد أراد الشاعر الوصول إليه، وهو إدانة للوحشية والخراب الذي يسكن روح الحفار، رغم انه، عملياً وواقعياً، ضحية من ضحايا الحروب والاستغلال والطغيان . وهذا أبرز ما يُسجّل على رسم السياب لشخصية الحفار . فقد كان قاسياً عليه، إذ أدانه وهو ضحية، ورمز بهِ لطبقة مستغله متعطشة للدماء والخراب، وهو بائس ليس له من هدف سوى إشباع رغباته، فكأن اختياره الرمزي عبر مهنته وآسمه (حفار القبور) كتضاد مباشر للحياة، كان موفقاً . بينما فشل السياب في إبراز أبعاده الطبقية، لذا جعله ـ في مونولوج طويل ـ يعتذر عن حبه للموت، ويعلل ذلك بجهله وحاجته، بينما لاعذر لهؤلاء الذين يشعلون الحرب عن سابق إصرار وعزم وبعلم وثقافة . . .

أنا لست أحقر من سواي . وإن قسوتُ فلي شفيع
أني كوحش في الفلاء .
لم أقرأ الكتب الضخام ـ وشافعي ظمأ وجوع
أو ما ترى المتحضرين
المزدهين من الحديد بما يطير وما يذيع ؟
مهما ادنأت فلن أسفّ كما أسفّوا . . .

ولكن الوصف خدم السرد في بقع كثيرة من المطوّلة، لا سيما في تصوير جو الموت ومكملاته، حتى في صورة الغربان الثاعقة أسراباً، وتفصيلات مهنة الحفار، والمبالغة في قسوته بتسليب الموتى حليهّم أو مضاجعة الأجساد الأنوثية الميتة . وأحسب ان السياب أراد إنقاذ المطوّلة من عموميتها ووصفيتها أو غنائية منظورها، فافتعل مصادفة قصصية غريبة، يندر حدوثها . فجعل الحفار يلتقي بالمومس التي كان قد أعطاها النقود لقاء جسدها، يلتقيها هذه المرة وهي ميتة :

ماتت كمن ماتوا، ووراها كما وارى سواها
واسترجعت كفاّه من يدها المحطمة الدفينة
ما كان أعطاها ـ

ولعل السياب يمهد بذكر المومسات، والبغايا ودار البغاء، والنقود